ومدافعة عن قضايا المستضعفين والبسطاء. وهذا الموقف الملتزم هو الذي ندعوه بالموقف الانساني. اما تجلّيات هذا الموقف فإنها تعلن عن ذاتها في اربعة عناصر نسبية: ١ ــ الدفاع عن الحياة. ٢ ــ الدفاع عن الانسان المضطهد. ٣ ــ وحدة الانسان والحياة والعمل. ٤ ــ قيم الانسان الإيجابية.

والآن، ماذا نعني بالدفاع عن الحياة؟ الدفاع عن الحياة هي دعوة الانسان إلى الإقبال على الحياة وممارسة إمكاناته وقدراته من اجل خلق ذاته الانسانية وإعادة خلق الحياة بما يوائم حاجاته ونزوعاته واشواقه، وتتضمّن هذه الدعوة محاربة لكل النزوعات العدمية واليائسة والمنغلقة والتي تؤدّي، في سلبيتها، إلى إهدار الطاقة الانسانية. تقدّم قصة: «الشيخ مبروك» نموذج الكتابة المشرقة في تفاؤلها، التي تحارب «الزهد» والسلبية، وتناهض «إماتة الذات» في وهم الايمان المغلق، فالقصة تصف انساناً هامشياً زاهداً يقترب، في زهده، من البله والعطالة، ثم تنتقل بعد حين إلى وصف هذا الانسان في حالة اخرى: الحالة التي دخل فيها إلى الحياة وغادر عالم التأمّل الكسيح، والمغادرة تحويل وتغيير وإضافة: «وراحت لحية الشيخ مبروك تتناثر امامي على الارض سوداء كريش الغراب. وشعرت وانا ازيل عنه لحيته بأنني امسح عنه الاسطورة.. اسطورة البركة»(٥). وكما تنتفي الحياة في قيود التأمّل العاجز، فإنها تنتفي ايضاً في مساحة السلبية والانسحاب من الحياة، فالزهد حوار اصم مع «الأنا» والانسحاب من الحياة حديث ذاتي متلعثم يلغي الفرد ويلغي دلالته في الحياة، وعن الحياة والدلالة وضرورة الحوار، كتبت سميرة قصتها: «العيد من النافذة الغربية»؛ حيث تختلط الكلمات الحارة بنشيد الحياة المستمر، وحيث يتزايل الماضي الكئيب أمام ما هو ماثل ومتحرّك ومتغيرّ، والحياة في جوهرها تغيير وانتقال من زمان إلى زمان: «لأول مرة لا تشرب أفراح العيد ولكنها تشعر بالمعنى الذي يجسّده يتدفّق عليها من نافذة غربية، ومن نظرة الصغير الذي يلتصق بعنقها، ومن أصوات صغار المعيّدين في الطريق»(٦). تماثل هذه القصة بين الحياة وممارستها بشكل لا تغدو فيه الحياة مجرّد طقس رتيب متكرّر بل تصبح لحظة تجدّد مستمرة، وصغار الأطفال هم رمز التجدّد واستمرارية الحياة. في هذا المنظور المنعم بإنسانيته، لم يكن غريباً ان تنطلق سميرة عزام من مفهوم الحياة العام، او بشكل أدق من مفهوم يعطي الاولوية للحياة والانسان لا للفرد او الأنا او الذات الضيّقة. لهذا فهي تستعيد موضوعة الطفل/الحياة في قصة: «اطفال الآخرين» التي تحرر الفرد من حرمانه الذاتي الضيّق وتدخله إلى عالم «الآخرين» كي يتجاوز حرمانه ويعثر على ذاته من جديد، ويكتشف ان الحل الفردي لا يستوي إلا في علاقته الصميمة مع «الحل العام»، وان الحل الفردي لا تحدّده الأنا المحاصرة، بل يتحدّد وتتغيرّ دلالته في حقل المجموع الانساني.

من يدافع عن الحياة يدافع عن كل انسان يقاتل كي يحظى بنصيبه من الحياة، والمقاتلون من اجل نصيب ناقص ومثلوم هم هؤلاء الذين يتراوح نعتهم بين «قاع المجتمع» و«الجماهير الفقيرة»، وعن هؤلاء كتبت سميرة، وحاولت بجهد ان تلتقط عوالمهم الصريحة والمضمرة. تأخذ قصة: «الغريمة»، في هذا المجال مكانة خاصة نظراً لصدق موقفها ولصدقها المكتوب، و«الغريمة»، هنا، ليست كياناً انسانياً، لكنها «الغسّالة